

فيه كل الفرص للاندماج مفتوحة امام اليهودي ، في جو التحررية والعقلانية المسائد ، يرتد دزرائيلي الى العقيدة القديمة : فهو يرى انه من المستحيل ان تهدم عرقا صافيا لانها حقيقة سيكولوجية ، وهي قانون الطبيعة البسيط ، وهو لا يكف يردد طوال فصول الرواية « ان العبريين عرق غير مختلط » .

ومع ذلك فالفكرة العرقية لم تتحقق لها السيادة في مفهوم القومية الانجليزي، كما حدث في المانيا ، لان الدفعة الليبرالية كان لها الغلبة وليس مفهوم دزرائيلي، وظلت المفاهيم الليبرالية الاخلاقية ، او ما يسمى بالمفاهيم الفكتورية هي الاقوى، برغم غزو الفكر العرقي للقارة والذي ارتبط بالدارونية الاجتماعية وافكار البقاء للأصلح .

اما مفهوم القومية الفرنسي ، فقد كان اكثر تعقيدا وتركيبا ، لانه يغتذي من اكثر من تراث تاريخي . فهناك تراث اليعاقبة في المساواة وكان هناك تيار اخر يمزج بين مفاهيم العقل والثورة مع تأكيد معاني المجد والعظمة النابليونية . وكان هناك ايضا من يستمدون مفاهيم القومية من النظام القديم مع رفض مبادئ المساواة الاجتماعية والسياسية . ولكن من الملاحظ ان المناهج القومية الفرنسية التي تأسست على التراث الثوري ، كانت اقل توجهها الى الماضي البعيد من النزعات القومية الانجليزية او الالمانية .

العرقية الالمانية

تيار العرقية الاوروبية وجد ارضه الممهدة والصالحة تماما في المانيا بالذات، ويبدو ان مذهب جويينو عرف طريقه الى المانيا من خلال صداقته لريتشارد «فاجرزا» اما جويينو فانه لم يلق اي نجاح في فرنسا في تلك الفترة ، وظل نسيا منسيا مدة طويلة ، الى ان لفتت اليه الانظار شعبيته في المانيا .

وفي المانيا انحسر نفوذ جويينو ليأخذ مكانه هوستون ستوارت تشامبرلين ، الذي كان احد تلاميذه ريتشارد فاجنر المتحمسين ، تزوج ابنته . وكان من اصل انجليزي ، ولكنه صار فيما بعد من دعاة الجرمانية المتعصبين ، وكان الاميراطور وليم الثاني من اصدقائه الاقربين ، وساعد كثيرا في نشر آرائه في المانيا . وقد نشر كتابه الذائع الصيت « أسس القرن التاسع عشر » سنة ١٨٩٩ وهو يعتبر الالمان حماة التاريخ العالمي وحملة الثقافة الغربية ، وروحهم هي التي تحرك وتصنع كل مكتسبات العصور الحديثة ، وهي روح تصلبت من خلال الصراع الذي لا يتوقف . والعرق الاري يوجد في وسط « فوضى من الاجناس » ولكن هناك عرق واحد غير العرق الاري ظل نقيًا ، واليهود هم الذين يجسدون هذا النقيض العرقي النقي ، ومن ثم فهم الخصم الدائم في هذا الصراع